★ المحاضرة الرابعة

-1- السينما الأمريكية أثناء الحرب العالمية الأولى :

ظلت صناعة السينمائية الفرنسية تسيطر على السوق العالمية حتى قيام الحرب العالمية الأولى ،حيث كانت شركة "إخوة باثي" هي أكبر شركات الإنتاج في العالم ،فقد كانت توزع في بريطانيا وحدها 40 %من الأفلام مقابل 30 %للسينما الأمريكية ،وكان الإنتاج الإيطالي يغطي حوالي 17 % من السوق البريطانية ،و كانت أستراليا - كذلك- تملك صناعة سينمائية قوية[1] ،ثم حدثت بعض التطورات الدولية أثناء الحرب العالمية الأولى التي باتت واضحة أن النظام الهوليوودي يعاني من أزمة الثقة وهذه الحرب هزت ضمير وحياة منتجي هوليوود على الرغم أن هذه الحرب لم تقتصر على الولايات المتحدة ولم يكونوا الطرف فيها بل انتشرت في مختلف أنحاء العالم حيث راحت بعض شركات الإنتاج الكبرى إلى الانفراد التام بتلك المنطقة وارتبط ذلك الفن الجديد باسم هوليوود الذي أدى نشاطها بالسيطرة بلا منازع على الفضاء السينمائي في العالم. و أدى أيضا إلى تفتيت النشاط في إيطاليا وفرنسا وانقلبت الموازين لصالح السينما الأمريكية وأمام هذا الواقع الإفلاسي لأوروبا ،و التفليس الذي وجدت السينما الأوروبية حياله ، اضطر المنتجون إلى تسليم الراية باتجاه إنتاج الشركات الأمريكية الكبرى وهكذا عادت السينما الهوليوودية بانفرادها التام بالساحة وبدأ المنتجون ينفقون على إنتاج الأفلام ذات الميزانيات الكبيرة جدا لتقديم المناظر والملابس المبهرة لتنفرد هوليوود بقمة صناعة السينما بلا منازع.

و خلال العشرينيات قامت شركات " برامونت ، و لويس، و جوردوين، و مترو " بمباشرة برامج للتوسع و الاندماج .و الأكثر أهمية من ذلك، السيطرة على دور عرض

---

1 - ينظر عزالدين عطية المصري"الدراما التلفزيونية-مقوماتها وضوابطها الفنية"،رسالة ماجيستر،قسم اللغة العربية،كلية الآداب،الجامعة الإسلامية غزة ،فلسطين،2010،ص591.

الدرجة الأولى في المدن الرئيسية .بعد هذا ظهرت الوسائل المقيدة مثل نظام حجز الأفلام بالجملة التي ابتدعتها شركة " برامونت " و لا تزال هذه الطريقة قائمة إلى اليوم بالنسبة لبيع الأفلام القديمة التي تملكها شركات التلفزيون"[1].و استخدمت أمريكا هذه السيطرة لتغير كيان الصناعة والذي عرف باسم "الاندماج الرأسي"Vertical Intégration حيث بادر هذا الاندماج الرأسي في توسيع قاعدة رأس مال هذه الشركات ،وصارت صناعة السينما الأمريكية فريسة لهذه السوق.

يؤكد الناقد السينمائي الفرنسي "ريمون بورد" هذا الرأي حيث قال:" بأن غداة الحرب العالمية الأولى أصبحت الأفلام أكثر طموحا و أقرب إلى الواقعية "[2]لهذا السبب ورثت هوليوود آمالا لانهائية في النمو و التطور و لكنها لم تحض بانفرادها التام بصناعة السينما في العالم، فسرعان ما عادت أوروبا للمنافسة من جديد، بالإضافة إلى ظهور عقليات وذهنيات جديدة في السينما ، على مستوى العالم كله في ذلك الوقت بتطبيق تجارب بعض الأساليب الفنية الجديدة على فن السينما في فرنسا و ألمانيا والاتحاد السوفياتي ابتداء من عام 1922م، بدأت حركة سينمائية نشطة كان أبرز مخرجيها "سيرجي آيزنشتين" الذي رفع السينما السوفييتية الصامتة بفيلمه "بوتمكين" في عام 1925م ، و"فيرتوف" و"رينوار"، و "فيتوريو دي سيكا" وهكذا ظهرت التعبيرية في السينما الألمانية "[3]لتركز على الواقع النفسي، وليس مجرد الواقع الظاهري أو الخارجي ، إلى مصاف السينما العالمية كصناعة وفن.

تواصل السينما الصامتة زحفها في سبيل تثبيت وضعها وسط مختلف الفنون و كذلك من أجل إنتاج لغتها الخاصة ،و من هنا تظهر شخصية مهمة في تاريخ هذا الفن

---

1 - ناجح حسن ، " النقد السينمائي في بريطانيا" ،مجموعة من الدراسات و المقالات المترجمة،ترجمة :أمير العمري،مكتبة الإسكندرية،2004،ص19 .

2- ريمون بورد ،"السينما الخالدة - السينما فن في خطر " ،رسالة اليونسكو ،دط ، دت،ص 4 .

3- ظافر هنري عازار،"نظرة على السينما العالمية المعاصرة-اوروبا الغربية و امريكا الشمالية"، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر، بيروت، ط1، 1983 ، ص 18.

إنه" شارلي شابلن " ، تلك العبقرية الفذة التي تربعت على عرش السينما و نجوميته لا تضاهيها أية نجومية منذ أن خلقت السينما إلى يومنا هذا.

2-1 شارلي شابلن -Charlie Chaplin":

يعتبر "شارلي شابلن" الأب الروحي لمحبي الفن السابع و لا نغالي إذا قلنا أنه فارس الضحك والحزن ،فنان الحلم المضيء و الهجاء الغاضب .لقد أتقن "شابلن" قناعه السينمائي المشهور على امتداد 25عاما ،و اكتسب حركات طرازية تميل إلى الرمزية أكثر ، و هي حركات ترمز إلى تعالي شابلن و غروره ولن نجد هنا وصفا أفضل من مقولة "أندري بازان": "شارلو شخصية أسطورية تسيطر على كل من المغامرات التي يشترك فيها...إن شارلو، بالنسبة لمئات الملايين من الناس على هذا الكوكب، هو بطل كما كان أوليس Ulysse أو رولان Roland بالنسبة لحضارات أخرى"[1] .

لقد تألق "شابلن" في فضاء الفيلم الصامت و تذمر كثيرا من ظهور الفيلم الناطق فلقد قال بهذا الصدد لأحد الصحفيين "...الأفلام الناطقة ؟ تستطيعون أن تقولوا إني أبغضها ! إنها تأتي لتفسد أقدم فن في العالم ، في البانتوميم .إنها تبيد جمال الصمت العظيم "[2]. لكننا متفقون على أن حالة شابلن حالة استثنائية فهو بوصفه ممثلا صامتا كان يؤمن بالطبع بأنه ليس في حاجة إلى الكلمة . و لما كان من جهة أخرى

---

1 - أندري بازان،" ما هي السينما"،ج1،م س ،ص105.

2 - يوري لوتمان " مدخل إلى سيميائية الفيلم" ،ترجمة: نبيل الديس ، مراجعة قيس الزبيدي ، وزارة الثقافة، دمشق، ط1، 2001،ص5.

قد استخدم السينما دائما كوسيلة للتعبير دون أن يحاول تطويرها بوصفها فنا ،فقد كان ـ بمزحة قاسية من القدر ـ يرى أن التقدم الفني سيكون ضده ، و يجد نفسه عاجزا بشكل مؤقت على الأقل ،عن هضم هذا التقدم الفني هضما جماليا في أي مكان في العالم، فنظرة شابلن لم تكن نظرة حقد أو غيرة ، ولكنه كان يؤمن بأن التمثيل الحقيقي هو ذلك التمثيل الذي تكون فيه الحركة أكثر تعبيرية من اللغة .

فالحركة في نظره هي الصورة الحقيقية لكفاءة الممثل و يقول الناقد السينمائي "ثيودورهاف" عن أداء "تشارلي شابلن" :"إن فن التمثيل الإيمائي الذي يستخدمه "تشارلي شابلن" يبلغ ذروته. فحين يدير ظهره للكاميرا في صالة الرقص يتفوق تعبير حركة كتفيه على أداء كثيرين من الممثلين الذين يستخدمون عيونهم و شفاههم كما أنه عندما يقوم بتحريك حاجبيه أو قبعته يستطيع أن يعبر عن مزيج مدهش من العواطف"[1] وتحدث عن البطل في الفيلم الصامت حيث قال : بأن أبطال الشاشة يتكلمون بالتخيل بمؤازرة الصمت[2] لقد فضل "شابلن" الانسحاب من الساحة السينمائية برضى منه مع ظهور الفيلم الناطق ، لأنه كان يؤمن بالممثل الذي يعتمد على الحركة فقط لا غير لإثبات قدراته التمثيلية ، و لهذا طور أداءه و عالمه الإيمائي، و عمق فكر و فلسفة شخصيته المثيرة.

إن نظرة "شابلن" تلك سابقة لأوانها تحققت فعلا في السنوات الأخيرة و حملته إلى إطار الشاشة الكبيرة كي يصير نجم سينما أمريكا الأول ، و كان يدرك بأن طريق النجومية السينمائية التي لا تنمحي يكمن في الممثل المبدع أكثر من أي حرفة سينمائية أخرى، و يؤكد "جورج سادول" :" كتب "شابلن" يومئذ يقول " إني أتناول كأسا من المرطبات على الشرفة بصحبة فتاة، و في الطابق الأسفل سيدة سمينة محترمة، حسنة

1- محمد الزواوي،"روائع السينما"، أفضل 100فيلم أمريكي، الأهلية، الأردن-ط1، 2006،ص341.

22- Réne jeanne.et charles ford ; Le cinéma : parlant des presses marabout s.a; Belgique, p33.

اللباس، و عندما آكل المرطبات أترك مقدار ملعقة صغيرة تنساب من خلال سروالي ثم من الشرفة لتسقط في رقبة السيدة. إن الضحك الأول سببه ارتباكي الشخصي، و الثاني، و هو الأكبر، ينتج عن وصول المرطبات إلى عنق السيدة التي تأخذ في الجؤار و القفز، و مهما يبدو هذا بسيطا لأول وهلة فإن ثمة عنصرين من الطبيعة الإنسانية مقصودان هنا: الأول: السرور الذي يشعر به الجمهور عند رؤيته للثراء و الترف في مأزق حرج، و الثاني: نزعة الجمهور إلى الشعور بنفس مشاعر الممثل...فلو أنني تركت قطعة المرطبات تسقط على رقبة امرأة فقيرة تخدم في البيوت لأثار هذا المنظر العطف على المرأة بدلا من الضحك عليها، كما أنه ليس لامرأة تخدم في البيوت كرامة تخشى ضياعها، و لن يكون للحادثة أي أثر مستغرب. إن ترك قطعة المرطبات تسقط في عنق امرأة غنية إجراء عادل تستحقه"[1].إن هذه النظرة الثاقبة لم تأت من شخص عادي ، بل جاءت من أعماق ممثل ظاهرة لم ولن تنجب السينما مثله حتى أصبح أسطورة القرن العشرين .

ويقول صديقه "هارولد لويد" Harold lloyd :" إن شارلي سيظل صامتا حتى ولو تكلم من حوله . إن الشخصية الأسطورية التي خلقها في الأفلام توجز القيمة الحقيقية الكاملة للفيلم الصامت، لذلك قرر شارلي أن يظل مخلصا لقناعته ولنفسه[2] .و الذي يعتبر أسطورة التمثيل السينمائي ،فإذا ذكرت السينما ذكر معها بالضرورة اسم شارلي شابلن.

إن "شابلن" الذي لم يمض عليه سوى بضعة شهور وصل فيها إلى قمة مجد لم يحظ به زملائه أو أي أمريكي قبله ، وأصبح سيد الشاشة الكوميدية بلا منازع، خلال الحرب العالمية الأولى وقع شارلي مع شركة " Mutual" عقدا لاثني عشر فيلما "الاستشفاء " ، "المزور" ، "رئيس شعبة البيع"،" سارق"، " الإطفائي "، "عامل الآلة"،"

---

1 - جورج سادول، "تاريخ السينما في العالم" ، م س،ص 152.

2 - ينظر جورج مدبك،"موسوعة السينما المصورةفي العالم" ،،م س ،ص192.

الموسيقي"، " المرابي" ، "شارلي لا يبالي" ،" المهاجر "، "الفار من وجه العدالة"،" التزحلق" [1] وجميع هذه الأفلام تقريبا من الآثار الفذة التي تحمل طابع العبقرية و يقول عنها الناقد "دولوك" Delluc: ":" ... إن شارلي بعد أن ترك وراءه الأستاذ ماكس ليندر ارتفع إلى مصاف موليير ،و ذكر إيلي فور شكسبير بمناسبة كلامه عن شارلي"[2] كيف لا يلقب بمثل هذه الألقاب وهو الذي يعتبر الركيزة الأساسية في سجل أمجاد السينما فلقد أنتج و أخرج وألف ومثل وقام بتركيب عدد من أفلامه ، حتى أنه وضع الموسيقى في بعض أفلامه كما حدث في فيلم أضواء المسرح الذي أنجزه سنة 1952[3] وصور "شابلن" حوالي خمسة وثلاثين فيلما في شركة كيستون خلال سنة واحدة، ثم تحول بعد عام 1914م إلى منتج ومؤلف وممثل لأعماله، حيث قفزت إيراداته مع عام 1916م، إلى أكثر من مليون دولار سنويا[4]. إن سينما "شابلن" هي، قبل كل شيء، سينما تمثيلية، و لا تملك أهمية حاسمة فيها مسائل الفن المسرحي و حتى الإخراج...من المستحيل في الممارسة التشابلينية تقسيم عملية إنشاء الفيلم على أرضية السيناريو والإخراج. إنها عملية واحدة و كاملة، و تملك مرحلتين فقط. من المميز أن شابلن الذي كتب لأول مرة السيناريو الاخراجي لفيلم الديكتاتور العظيم فإنه لدى تصوير و مونتاج اللوحة قد ابتعد بقوة عنه إلى درجة أنه غير بصورة عامة عددا من تقلبات المواضيع و حتى أسماء بعض الشخصيات المؤثرة"[5].إن تقنيات التركيب التي كان يستعملها شارلي طوال حياته المهنية أمينا لتقنيات التركيب ماكس ليندر القديمة التي تخص التصوير محاولا عكس أسلوبه الهزلي على حساب لغة سينمائية.

---

1 - ينظر جورج سادول، "تاريخ السينما في العالم" ،م س،ص150.

2 - م ن ،ص150.

3 - ينظر روبير لافون جرامون ،" السينما المعاصرة قضايا الساعة"، ترجمة: موسى بدوي ، مطابع الأهرام التجارية القاهرة، 1977 ، ص38.

4- ينظر دفيد روبنسون، "تاريخ السينما العالمية (1895-1980)"،م س ،ص 63 .

5 - أفلام شابلن"سيناريوهات و كتابات الأفلام"،ترجمة:يونس كامل ديب،وزارة الثقافة،دمشق،ط 1 ،2009،ص ص16/17.

وهذا ما يؤكده "جورج سادول":" لقد صرح أثناء إخراج فيلم "السيد فيرودو لروبرت فلوراي" إن التصوير بالسطح العام شيء لا غنى عنه، وعندما أمثل فإني أمثل بساقي ورجلي كما أمثل بوجهي" و زاد قائلا:" إنني خارج العادة ولست بحاجة إلى زوايا تصوير خارجة عن العادة "[1]. كان "شابلن" يرمي من ورائه إلى انتخاب أحسن المشاهد من خلال عشرات من التجارب ليثبتها في حدود التركيب، و عندما يؤكد بأنه خارج عن العادة، فإن قوة تمثيله فاقت مخرجي تلك الحقبة.

استطاع "شابلن" أن يجمع في شخصيته شطرين من الحياة و يلبسها لباسا واحدا فالتراجيديا تجاورت مع الكوميديا و كونت كلا متكاملا و أصبحت عنده الكوميديا السوداء [2] التي تجمع بين الحزن و الفرح هذه الكوميديا الساخرة تحتوي بداخلها على هجوم لاذع ضد الظلم و الطغيان و ضد الفقر ،مستخدما في رسالته الفنية حركات البنتوميم الخالية من الكلام تعتمد فقط على التعبير الجسدي الصادق كلغة لتوصيل أفكاره ،هذه الحركات تعبر عن قدرته العالية في التمثيل يحاول شابلن التعبير عنها كما يلي:" لقد درست الإنسان، و لو لم أعرفه لما استطعت عمل أي شيء في مهنتي....إن معرفة الإنسان هي أساس كل نجاح"[3]. وصل شارلي إلى قمة فنه و ظلت مسيرته الفنية تتوسع مع العهد الصامت لأنه عرف كيف يقيم من هذا العجز مبدأ جماليا ، وله المجد لأنه استطاع بتلك الوسائل المحدودة أن يخلق أعمالا فنية لا تنسى.

---

1 - جورج سادول، "تاريخ السينما في العالم" ، م س ،ص 150

2-Georges sadoul ; Dictionnaire des cinéastes; OP.Cit ; p 47.

3- فرانك جوتيران،"فنون السينما"،ترجمة:عبد القادر التلمساني،المجلس الأعلى للثقافة،القاهرة ،ط 1، 2001،ص75 .